تأمل أول:

في القرن الثاني ميلادي وقف رجل جبار عاشق للمسيح، كبير مثقفي قومه، في وسط محكمة أمبراطورية في رومة، وقال بصوت عال وهو رافع رأسه: **نعم انا مسيحي**.

هذا الرجل هو القديس يوستينس الشهيد الذي كان يحاكم لأنتمائه للمسيحية هو ورفاقه. وكان يوستينوس بالأساس فيلسوفاً.

فسأله الحاكم: أي علم تدرس؟

فأجابه يوستينس: لقد درست جميع العلوم الواحد بعد الآخر ولكني في النهاية إخترت لنفسي تعاليم المسيح.

الحاكم: وما هي هذه التعاليم؟

يوستينس: أن نؤمن قولاً وفعلاً بالله الخالق وبالرب يسوع المسيح الهاً واحداً أبدياً. ولا يمكنني أنا الضعيف أن أتكلم عن ألوهيته كما يجب لأن هذا الكلام هو كلام القديسين والانبياء الذين تنبأوا عنه منذ قرون بوحي من السماء.

الحاكم: اذاً، أنت مصرّ على مسيحيتك؟

يوستينس: نعم، أنا مسيحي. والعاقل لا يشتري الضلال بالإهتداء، و لا الرخيص بالغالي.

الحاكم: إذاً، أنت ستموت.

يوستينس: لا بل أنت المائت لأني أنا حيّ بالربّ يسوع المسيح القائم من بين الاموات.

فصدر عندها الحكم وأعدم يوستينوس ومن معه وأحصيوا مع القديسين الأبرار.

سأتوقف في محاكمة يوستينس عند نقطتين:

1- **النقطة الأولى:** يوستينس يفتش:

جد يوستينس على العلم والمعرفة طالباً الحكمة والحق ودرس كثيراً وتتلمذ على يد كبار معلّمي عصره ولكنه لم يرتوي. فتابع بحثه فأعترضه يوماً شيخ وقال له: إذهب وأقرأ الأسفار المقدسة فستجد ما تطلبه نفسك. وفعلاً، إنكب يوستينس على الأسفار

الألهية وصرخ مع العاشق في **نشيد الانشاد** قائلاً: في الليل على فراشي طلبت من تحبه نفسي، فما وجدته. أني أقوم وأطوف في المدينة في الأسواق، وفي الشوارع أطلب من تحبه نفسي. وجدني حراس الليل فقلت لهم: **أرأيتم من تحبه نفسي؟** وما أن تجاوزتهم حتى وجدت من تحبه نفسي، فامسكته ولم أرخه حتى أدخلته بيت أمي وخدر من حبلت بي. فأستحلفكم ألا توقظنه حتى يشاء.

وإليكم هنا ما قاله جفرسون كبار علماء المعرفة في القرن العشرين بعد إهتدائه:

صحيح أنني تسلقت جبل المعرفة بأبحاثي ودراساتي العلمية ولكنني عندما أردت أن أجلس وأستريح على أعلى قمة في هذا الجبل فوجئت بإلقاء التحية عليّ من قديسين كثيرين كانوا قد سبقوني إلى هذه القمة منذ زمن بعيد.

2- **أما النقطة الثانية هي:** حالة العشق الإلهي التي وصل إليها قديسنا وهو ما يجب أن يكون عليه كل إنسان مخلوق في هذه المسكونة.

وهذا مايسميه القديسون: **بفن الفنون.**

فهذا العشق الألهي يعرف بالفيلوكاليا أي محبة الجمال. وهذا العشق يكشف المعنى الحقيقي للفيلوصوفيا، أي الفلسفة وهي محبة الحكمة. فمحبة الحكمة لا تصل إلى مبتغاها ولا تترنم بأنشودتها إلاّ بالسعي الى حكمة الجمال الإلهي.

من هنا تغنى القديس غريغوريوس اللاهوتي بالمسيح منشداً عند غروب الشمس وهو رافع يديه قائلاً:**O Erosmou estavremenos** أي **عشقي مصلوب ولكنه عاد ووقف في سحر اليوم التالي ليصرخ قائلاً: O Erosmou anestimenos أي عشقي قائم.**

فإذا كان القول الشعبي يقول: " إذا أردت أن تعرف نعمة الله عليك، فأغمض عينيك"، المسيحية تقول:" إذا أردت أن تعرف نعمة الله عليك، إفتح عينيك"، عيني البصيرة طبعاً، من هنا أتى قول القديس باسيليوس الكبير:" **إن كان أحد لا يريد أن يرى الشمس شارقةً، فهذا لا يعني أن الشمس لا تشرق**".

آمين.